

## ما أنزل الله داء إلا قد أنزل له شفاء

إذا علم المريض أن لدائه علاجاً، قوي رجأؤه واستبشرت نفسه، وأعانه ذلك على تجاوز ما هو فيه من الهم والغم، وخف عليه ثقل المرض، وربما كان ذلك بإذن الله سبباً من أسباب زوال ما ألم به. وإذا علم الطبيب أن لسعيه أثراً وأن لبحثه غاية، قويت همته وزاد عزمه، ونشط في البحث والتجربة ليصل إلى علاج المرض.

ولعل هذا المعنى مما يومئ إليه حديث **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال -: "ما أنزل الله داء إلا قد أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله". [1]

لكل داء نفسياً كان أو جسدياً دواء يؤثر فيه ويقضي عليه ما عدا الموت أو الهرم كما نطق بذلك هذا الحديث وأيضا الحديث الآخر وهو: قوله ﷺ: «تداووا عباد الله، فإن الله عز وجل لم ينزل داء، إلا أنزل معه شفاء، إلا الموت، والهرم». [2] أي ضعف الشيخوخة، ونقص الصحة، فإن ذلك يقرب من الموت، ويفضي إليه، وفي رواية "إلا السام" والسام بتخفيف الميم الموت، أي المرض الذي قدر لصاحبه الموت منه، فلا دواء له. [3]

ولكن الطبيب قد يصيب الدواء المناسب، ويهتدي إليه فينجح في معالجة الداء بإذن الله، وقد يخطئ الطبيب في معرفة الدواء، أو في تشخيص المرض فيفشل في العلاج.

والحديث صريح في أنه ليس هناك أمراض مستعصية لا دواء لها، فكل مرض له أدوية تؤثر فيه، وتقضي عليه، ولكن الأطباء ربما لم يكتشفوها بعد وقد قال - ﷺ -: "كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: "إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء..". [4]

قال الحافظ **ابن حجر** معلقاً على الحديث بعد أن أورد رواية عند مسلم عن جابر: "لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى". قال وفيه إشارة إلى أن الشفاء متوقف على الإصابة بإذن الله وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكمية أو الكيفية فلا ينجح، بل ربما أحدث داء آخر وفي حديث بن مسعود الإشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد وفيها كلها إثبات الأسباب وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وبتقديره، وأنها لا تنجع بذواتها بل بما قدره الله تعالى فيها وأن الدواء قد ينقلب داء إذا قدر الله ذلك، فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته والتداوي لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب، وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب العافية ودفع المضار وغير ذلك، ... ويحتمل أن يكون في الخبر حذف تقديره لم ينزل داء يقبل الدواء إلا أنزل له شفاء والأول أولى؛.



ومما يدخل في قوله: “جهله من جهله” ما يقع لبعض المرضى أنه يتداوى من داء بدواء فيبراً ثم يعتريه ذلك الداء بعينه فيتداوى بذلك الدواء بعينه فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء قرب مرضين تشابها ويكون أحدهما مركباً لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركباً فيقع الخطأ من هنا، وقد يكون متحداً لكن يريد الله أن لا ينجع فلا ينجع ومن هنا تخضع رقاب الأطباء.[5]

والحديث يشير أيضاً: إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد، وقد تجهل في وقت ثم تعلم، أو يجهلها البعض ويعلمها البعض، وقد دلت التجارب على صدق هذه القضية، فإن بعض الأمراض كانت تعد مما هو مستعص لا علاج له، فلما اكتشفت اللقاحات والأدوية المناسبة لها أصبحت من الأمراض العادية التي يسهل علاجها بإذن الله. فجميع الأمراض الباطنة والظاهرة لها أدوية تقاومها، تدفع ما لم ينزل، وترفع ما نزل بالكلية، أو تخففه. وهذا يقتضي حثاً على تعلم طب الأبدان، ويرغب فيه، كما يتعلم طب القلوب، فإن ذلك من جملة الأسباب النافعة.[6]

ودل الحديث على مشروعية العلاج، لأنه - ﷺ - أخبرنا بأن الذي خلق الداء خلق الدواء تنبيهاً لنا وإرشاداً وترغيباً في **التداوي**.. واستعمال الأدوية لا ينافي التوكل إذا اعتقد أنها تنفع بإذن الله وتقديره، وأنها لا تؤثر إلا بإرادته عز وجل.

وفي هذا الحديث وأمثاله تقوية لنفس المريض، - كما جاء في مستهل هذا المقال - ومساعدة له على مكافحة المرض، وتشجيعاً له على مقاومة الداء، لأنه متى استشعرت نفسه أن لدائه دواءً تعلق قلبه بالرجاء، وتفتحت له أبواب الأمل، وزال عنه اليأس والاكتئاب، وهذه المشاعر في حد ذاتها كفيلة له بالشفاء بإذن الله لأن نفسية الإنسان متى قويت تغلبت على المرض وقهرته، ومتى ضعفت تغلب عليها.[7]

ومن الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم، فالأدوية القلبية، والروحانية، وقوة القلب، واعتماده على الله، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والاطراح والانكسار بين يديه، والتذلل له، والصدقة، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف، والتفريج عن المكروب، هذه الأدوية قد تجربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها، فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم الأطباء، ولا تجربته، ولا قياسه.

[8]

[1]. مسند أحمد ت شاكر / الحديث رقم: (3578).



[2] . أحمد مسند أحمد ط الرسالة / الحديث رقم: (18455)

[3] . فتح المنعم شرح صحيح مسلم (8 / 582).

[4] . منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (5 / 212).

[5] . فتح الباري لابن حجر (10 / 135).

[6] - بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص 147.

[7] . منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (5 / 213).

[8] . الطب النبوي لابن القيم (ص: 10).